 DOI: http://dx.doi.org/10.18860/eh.v22i2.10320

أوجه الاختلاف بين السيرتين الذاتيتين (الأيام لطه حسين وأكى لوولى شوينكا)

AWJUH AL-IKHTILAF BAINA AS-SIRATAIN ADZ-DZATITAIN (AL-AYYAM LI TAHA HUSSEIN WA AKE LI WOLE SOYINKA)

Abdulhakeem Zubair
Department of Arabic
University of Ilorin Nigeria
Email: zubair.ah@unilorin.edu.ng

الملخص

الدراسة المقارنة هي فن من فنون الأدب التي تعزز تلاقي الأفكار والمعرفة والثقافة. ولقد تلقى هذا النوع من الدراسة عناية فائقة لدى الدارسين في اللغة العربية والإنجليزية في العصر الحديث. ومع ذلك، كانت مقارنة العمل الأدبي العربي بالعمل الأدبي الإنجليزي نادرًا جدًا في مجال الدراسات العربية في نيجيريا. لذلك ركّزتُ هذه الورقة على استنباط ودراسة أوجه الاختلاف بين كتابي «الأيام» لطه حسين و«أكى سنوات الطفولة»لـ Wole Soyinka (وولي شوينكا). ومن أهدافها أن تقوم بمقارنة وتباين مضامين العملين الأدبيْين، وتحليل الجانب الفني والسردي في الكتابين المقارنين وتوضيح بعض سلوك الطفولة على الرغم من خلفية منطقتيهما وأيديولوجيتيهما ودينيهما المختلفين؛ واعتمدت الدراسة على منهجين أساسي ينهما المنهج التاريخي والمنهج التحليلي؛ أما المنهج التاريخي فيتناول نبذة يسيرة عن حياة كل من الأديبين من خلال الدراسة. والمنهج التحليلي عبارة عن دراسة السيرتين الذاتيتين للأديبين، وتمّ تحليلهما على المعايير الأدبية والفنية. وفي

الختام أثبت هذا البحث أنّ السيرتين تعكسان حياة الطفولة للكاتبين مع الاختلاف في البيئة والثقافة، وكلا العملين يتفق مع المعايير الفنية والقواعد اللغوية الموضوعة في كلتي اللغتين مع اختلافهما في أسلوب الكتابة. وأوصت الدراسة أنتترجم أعمال وولي شوينكا إلى اللغة العربية وأعمال طه حسين إلى الإنجليزية كما تحثّ الباحثين أن يركّزوا عنايتهم على تجارب الطفولة في أعمال الأدباء الأفارقة رغم اختلاف بيئاتهم وثقافاتهم؛ لاستنباط الفوائد والمعلومات من تلاقي الأفكار والمعارف.

Abstract

Comparative study is an art of literature promoting the convergence of ideas, knowledge and culture. This type of study has received great concern among students of Arabic and English in the modern era. However, the comparison between Arabic and English literary work is very rare in the field of Arabic studies in Nigeria. Therefore, this paper focuses on the differences between the books, "Al-Ayyam" by Taha Hussein and "Ake Years of Childhood" by Wole Soyinka. Its objectives were to compare and contrast the contents of the two literary works, to analyze the artistic and narrative side of them, and to clarify some childhood behaviours despite their different backgrounds in their regions, ideologies and religions. This study relied on two basic approaches, the historical and analytical methods. The historical method deals with a simple overview of the lives of both writers. The analytical method includes studying the writers' biographies analyzed based on literary and artistic criteria. In conclusion, the findings show that the two biographies reflect the writers' childhood with the difference in the environment and culture. Besides, both works are consistent with the technical standards and the linguistic rules established in both languages with their differences in writing style. The study recommended that Soyinka's work is translated into Arabic and Hussein's work into English. Researchers should focus more on the works of African writers despite their different environment and cultures to derive benefits and information from the convergence of ideas and knowledge.

Keywords: *comparative study; literature; writer biography; Taha Hussein; Wole Soyinka*

المقدمة

تركز هذه الدراسة اهتمامه على عملين أدبيين كبيرين (الأيام لطه حسين١٨٨٩-١٩٧٣م) و(أَكَيْ سنوات الطفولة لوُوْلَيْ شُوْيِنْكَا) اللذين نالا من الشهرة الشيء الكثير للأديبين ووصلا إلى ذرى المجد حيث أن كليهما نال من الشهرة ما لم يحظ به أديب آخر فى عصرهما، لقب طه حسين عميد الأدب العربى، وحصل وولى شوينكا على جائزة نوبل في الأدب الإنجليزي وهو ما يزال على قيد الحياة. وهذان العملان عبارة عن سيرة ذاتية عن أيام قضاها طه حسين في طفولته في قرية عربية تسمى قرية الكيلو التي تقرب من مغاغة، إحدى مدن محافظة المنيا في الصعيد الأوسط المصري. وهو كتاب تألف من ثلاثة أجزاء، أخذ منه مؤلفه ما فاق ثلاثين من مئة لسرد أيامه الطفولية عقيدة وتعلمًا وتعليمًا وتربية بعربية فصيحة. و«أَكَيْ، سنوات الطفولة» أيضا سيرة ذاتية لوَوْلَيْ سَوْيِنْكَا حول الأحداث في طفولته (بين عامي ١٩٣٤م- ١٩٤٥م) في مدينة أَكَيْ بنيجيريا. ويختلف عن نظيره «الأيّام» في أنه تناول في صفحاته قصة طفولة صاحبه، وتحدث عن بيئة مؤلفه وعن ثقافته اليورباوية باللغة الإنجليزية. تلك القصتان أو السيرتان الذاتيتان لأحداث حياة الكاتبين منذ ولادتهما وحتى مرحلة متقدمة من حياتهما.

وبما أن الترجمة كانت لحياة الأديبين ذاتهما فهي إذن ما يطلق عليها (الترجمة الذاتية أو السيرة الذاتية) التى كشفت عن الشخصية أثناء عملية الصراع التي تقوم بين شعور الكاتب بذاته، وموقف المجتمع منه ومدى خضوع أحد الطرفين للآخر(عبده،١٩٨٢م، ص١١) وفى هذا الصدد بحثت ظاهرة الطفولة للأديبين، لذلك يتركز البحث على الجزء الأول من كتاب الأيام الذي يتحدث عن طفولة طه حسين المبكرة وعن سفره إلى القاهرة والتحاقه بالأزهر الشريف، ثم كتاب أَكَيْ الذي يتحدث أيضًا عن سنوات طفولة لوولى شوينكا وحياته الأولى فى المدرسة الأولية. والجدير بالذكر هنا أن شوينكا ألّف أربع كتب لسيرته الذاتية التي هي «أَكَيْسنوات الطفولة» Ake, Years of Childhoodللكاتب (Soyinka, ١٩٨٨) و«إسارا رحلة حول إيسَىْ» Isara: A Voyage around Essay للكاتب أيضا (Soyinka, ١٩٨٩) و«إبادن سنوات بكليميس» Ibadan: Years of Penklemes(Soyinka, ١٩٩٣) و«عليك المنصوص في الفجر» You Must Set Fourth at Dawn, Soyinka, 2006)).

فهذه المقالة ستنظر في أوجه الاختلاف بين العملين المذكورين سابقًا، ويعتبر كل من شُوْيِنْكَا وحسين رائدًا في مجال السيرة الذاتية بشكلها المعاصر، فهذا النوع من الأدب أخذ شهرته الكبيرة عند العرب والغرب. ورغم أن سيرتي شُوْيِنْكَا وحسين من نوع أدبي واحد

إلا أن الفروق بينهما أكثر من العوامل المشتركة ليس فقط، لأن الأولى تكشف عن عقلية غربية، والأخرى تكشف عن عقلية شرقية، ولكن لوجود عوامل أخرى منها الفيزيقية أو ما يتعلق بالتكوين الجسدي ومنها النفسية ومنها أيضا ما يتعلق بالفن الروائي عند كل منهما.ومن يقرأ سيرة وُوْلَىْ شُوْيِنْكَا يجد أنَّ الكاتب يتصور نتيجة التغير، وينص عليها، دون أن يجعل من أحداث حياته ما يفسِّر هذا التغير، فهو أشبه بمن يقول لك "هكذا جرت الأمور"، فَوُوْلَىْ شُوْيِنْكَا يمثل دور المستفيد الذي ينظر ويسمع ويقرأ ويلتقي الناس، وتتكيف حياته من نفسها دون دوافع ذاتية قوية، أما طه فيصطدم بالناس، ويقلق وينزعج ويسوء ظنه فيهم، وهو يحس أن كل المنغصات الخارجية ترسب في ذاكرته، فتظل تبتعد به عنهم، وتحفزه للهجوم عليهم حين تحين الفرصة. فَوُوْلَىْ شُوْيِنْكَا تقريري يميل إلى ذكر الحقيقة كما هي، وطه حسين يميل إلى تصويرها كما أحسها ذات يوم، إن صاحب "الأيام" يصور نموه النفسي الداخلي، وصاحب "أَكَىْ" يصور علاقاته الخارجية بالناس والأماكن. وبينما تستطيع أن تبني من كل "الأيام" صورة لشخصية كاتبه، تجد أنَّ وُوْلَىْ شُوْيِنْكَا يصف صورته وطبيعته وقريته وبيئته. ومن هنا نذكر أوجه الاختلاف بين الأديبين فى كتابيهما فى بعضالمباحث الآتية:

المبحث الأول: العنوان

يظهر أول هذه الفروق في العنوان، فطه حسين الذي يرجع إليه الفضل في ظهور السيرة الذاتية على النهج العربي، تحدّث عن نفسه منذ ولادته إلى أوان كتابة مؤلفه إلا أن النزعة الشرقية التي لا ترغب في الكشف عن الذات كشفًا صريحًا جعلته يختار عنوانًا لسيرته «الأيام» ليس له مدلول واضح، كما تحدّث عن نفسه بضمير الغائب دون تحديد دقيق للزمان والمكان والشخصيات، وهذا ما سوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد.وأما عبارة "أَكَيْ، سنوات الطفولة" التي اختارها شُوْيِنْكَا عنواناً لكتابه تعكس مفهوما قبليًا يُورُبَوِيًا، والمقصود به أنه يقصّ سيرته وما أحاط به من الأحداث في طفولته بين عامي ١٩٣٤ - ١٩٤٥م في مدينة "أَكَيْ بأبيكوتا". ويختلف عن نظيره "الأيّام" في أنه تناول في صفحاته كلها قصة صادقة عن حياة صاحبه، وفي أنه يعبّر عن بيئة كاتبه وثقافته اليورباوية. يأكد أن شُوْيِنْكَا عقد العزم على أن يعرف نفسه للقارئ من دون لبس أو غموض وأن يكشف عن كل ما في داخله وعن نواقصه حتى لو تفاجئ القارئ أو تتسبب في فضيحة.

المبحث الثانى: التصريح والتعميم

ولعل أهم الفروق وأقواها بين الكاتبين هو «التصريح والتعميم، فلقد تعمّد طه حسين التعميم في كل شيء، استخدم ضمير الغائب، ولم يقم بتحديد زمنيّ ولا مكانيّ ولم يحدّد الشخصيات التي تحدّث عنها، ولم يعرفّها بأسماء معيّنة بذاتها كان يلقّب هذه الشخصيات بـ«سيدنا» و»صاحبنا» و»الفتى، إلى آخرها:»لا يذكر لهذا اليوم اسمًا، ولا يستطيع أن يضعه حيث وضعه الله من الشهر والسنة، بل لا يستطيع أن يذكر من هذا اليوم وقتًا بعينه، وإنما يقرب ذلك تقريبًا. وأكبر الظن أن هذا الوقت كان يقع من ذلك اليوم في فجره أو في عشائه!"(حسين، ٢٠٠٦م، ص١)، بينما استخدم شُوْيِنْكَا التصريح في كل حكاياته وفي كل أوصافه، فاستعمل ضمير المتكلم مع محاولة تحديد الزمان والمكان بدقة ورسم توضيحي للشخصيات التي التقى بها، هكذا قال فى سيرته:"كنت أستلقى فوق الخضرة أمام منزلنا متطلعًا بوجهى إلى السماء ورأسى باتّجاه فناء الأساقفة بينما قدمى إلى السياج الداخلية لبيت القس، وكنت أرى من تلك الفضاءات المنخفضة نصف مدرسة البنات الإنجليزية والنصف الآخر من فناء الأساقفة.... كلما مررت ببيت الأساقفة فى مهمة إلى عمتى الكبرى (مِسِسْ لِجَادُ) عرفت أنه لم يعد سوى منزلًا لبنات المدرسة وملعبًا إضافيًا لنا أثناء الإجازات". (Soyinka, 1988, p4).

المبحث الثالث: العامل البدني

إذا بحثنا في أسباب الاختلاف فإننا نجد أن الحالة الجسدية لطه حسين تعتبر عاملًا أساسيًا فيما سبق ذكره من اختلاف، فلقد فقد طه حسين بصره في عامه الثاني بعد ولادته، وهذا أدى إلى وجود نوع مختلف من السرد الأدبي (narration)عما استخدمه شُوينْكَا. ففي الواقع، تعتبر كل أعمال طه حسين هي «أقوال» أو «إملاءات» وليست «كتابات» (إسماعيل، ١٩٩٠م، ص١١)، فهناك فارق كبير بين الكتابة والقول وبين الكاتب والمتكلم. فالمتكلم يستحضر ذاته دائمًا أكثر من الكاتب حيث أن الخطاب عند المتكلم لا يوجد إلا في حضور مستمع، وهذا الحضور يفرض ضغطًا على المتكلم، وهذا يعني أن «الأنا» عند المتكلم هي في حالة قلق دائم تجاه المستمع (إسماعيل، ١٩٩٠م، ص١١)، أو تحسب له، فضلًا عن ذلك أن «القول» عند طه حسين يعتبر ضرورة بيولوجية أو حيوية وليست ضرورة أونطولوجية ontologie أو كائنة خاصة بعلم الكائنات (إسماعيل، ١٩٩٠م، ص١٢)، وهذا ما صرح به طه حسين بنفسه عندما قال أن القول يتخلص منه عندما يتكلم أو عندما

يملي (حسين،١٩٥٧م، ص٣) وأكده في مقدمته للأيام التي كتبها في ١٩٥٤م «هذا حديث أمليته في بعض أوقات الفراغ أمليته لأتخلص بإملائه من بعض الهموم الثقال والخواطر المحزنة».

تأثر طه حسين بالشعراء العرب القدامى وخاصة شعراء الجاهلية، فلقد لاحظ عز الدين إسماعيل، في مقالته «أنا المتكلم طه حسين» (إسماعيل، ١٩٩٠م، ص١٥)، أن شعراء الجاهلية، عندما يستخدمون ضمير الغائب وبالأخص عندما يتكلمون عن (صاحبي) أو (صاحبنا)، فإنهم يقصدون خطابا ضمنيا يوجهونه إلى أنفسهم. وبالنسبة لنا، فإن طه حسين يحيل ذاته على ضمير الغائب وبالتالي فإنه يعتبر شخصيته كحالة عامة في المجتمع وهذا يؤكد موضوعيته وبالتالي مصداقيته.

المبحث الرابع: إشكالية تطابق الأسماء

في «أَكَىْ»، التزم شُوينْكَا بقواعد السرد في السيرة الذاتية، فلقد تميز كتابه بتطابق أسماء العناصر الثلاثة المكونة للرواية وهم: المؤلف والراوي ثم البطل (الشخصية الرئيسية) أي أن المؤلف، الراوي، الشخصية الرئيسية، فالثلاثة تم التوحيد بينهم؛ إذ يعبرون عن شخصية واحدة هي شُوينْكَا، كذلك استخدامه لضمير المتكلم من بداية الكتاب وحتى نهايته يؤكد مفهوم التوحيد للعناصر الثلاثة المكونة للقصة، ويعد هذا ميثاقًا أبرمه الكاتب مع القارئ. فالكتاب، كما سبقت الإشارة، يتحدث منذ البداية عن كل التفصيلات الخاصة به: تاريخ ميلاده ومكانه، معلومات دقيقة عن الأب وعن الأم، وحديث مفصل عن العائلة الكبيرة... الخ. وهذه التفصيلات الدقيقة التي يعطيها الكاتب للقارئ هي من أجل إزالة أي موضع للشك في مصداقيته وفي سبيل إبعاد أي نوع من أنواع الغموض أو اللبس فيما يخص أي موضوع أساسي أو ثانوي في حياة الراوي والمؤلف.

إذا كان الوضوح والتفصيل يميزان السيرة الذاتية لشُوْينْكَا، فإن الغموض واللبس علامتان أساسيتان في السيرة الذاتية لطه حسين، وقد أوضحنا من قبل أنه لم يقم بتحديد الزمان ولا المكان لأهمّ الأحداث، ولم يتمكّن من تعيين الأحداث بين الفجر والعشاء، هكذا يقول: «وأكبر ظنه أن هذا الوقت كان يقع من ذلك اليوم في فجره أو عشائه»!

المبحث الخامس: اللغة

اللغة هي نسق من الإشارات والرموز، تشكل أداة من أدوات المعرفة. وتعد اللغة أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة. وبدون اللغة يتعذر

نشاط الناس المعرفي. وترتبط اللغة بالتفكير ارتباطا وثيقًا؛ فأفكار الإنسان تصاغ دومًا في قالب لغوي، حتى في حال تفكيره الباطني. ومن خلال اللغة تحصل الفكرة فقط على وجودها الواقعي . كما ترمز اللغة إلى الأشياء المنعكسة فيها، فاللغة لها القدرة على اكتساب واستخدام نظام معقد للتواصل وخاصة قدرة الإنسان على القيام بذلك، واللغة هي أحد الأمثلة المحددة من هذا النظام، وتسمى الدراسة العلمية للغة بعلم اللغويات؛ فاللغة هي منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع وهذه المنظمة تشتمل على عدد من الأنظمة، يتألف كل واحد منها من مجموعة من المعاني تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو المباني المعبرة عن هذه المعاني(حسان،١٩٩٤م، ص٣).

ومن أهم الفروق فى كتابي الأديبين أنهما اختلفا في اللغة إذ تمت كتابة «الأيام» لطه حسين بالعربية و«أكى سنوات الطفولة» لوُوْلَىْ شُوْيِنْكَا بالإنجليزية؛ وذلك باختلاف لغتيهما وبيئتيهما وثقافتيهما.

المبحث السادس: الأسلوب

فإن الإعاقة التي أصيب بها طه حسين في طفولة وأفقدته بصره لابد أن لها تأثيرها على فكره وعلى أسلوبه في الحياة. هكذا يقول لنا الكاتب الفرنسي بوفون Buffon (١٧٠٧م–١٧٨٨م) «الأسلوب هو الإنسان (Guiraud, 1979, p24) « Le style, c'est l'homme»، أي أن أسلوب الإنسان في تعبيراته أو في تفكيره أو في هيئته يعكس شخصية الإنسان، ويقول أفلاطون أن الصفات تشابه الأسلوب(Guiraud,1979,p.28) ، وكذلك يقول سيناك Sénèque كاتب وفيلسوف روماني (٤ قبل الميلاد – ٦٥ بعد الميلاد): «الخطاب يكشف عن سمات النفس» Guiraud ,1979, p28)،(، وقد دوَّن أندريه جيد هذا الانطباع في مقدمة ترجمة «الأيام» حيث قال: «إنه عمل رجل كفيف، فالمؤلف لا يتركنا ننسى هذا الوضع في كل مناسبة أثناء سرده، إنه يرسم بكل دقة خطوات الطفولة الأولى، وهو حريص تمامًا على أن تظهر هذه الفاقة على وجهه والتي تجعل وجه الأكفاء غالبًا معتمًا».

فشُوْيِنْكَا يصف الشخصيات والأحداث كما هيفى الواقع وذلك بقوته التعبيرية، ومن ذلك وصفه لبيت الأساقفة: «كان بيت الأساقفة أكثر جمالًا وروعةً من بيت القس... كانت تحيطه الأحجار البيضاء النظيفة والزهور الجميلة وكانت الصخور المظللة منتشرة فى كل مكان تزيد السحب من فتنتها وروعتها وعند هبوب العواصف القوية كانت أوراق الشجر تروح وتجيء مع الرياح حتى تتدلى فوق بيت الأساقفة.»(Soyinka, 1988, p5) ثم وصف شُوِينْكَا منزلًا آخرًا ذا مدخل رائع وأعمدة بيضاء، وكانت البوابة في حراسة شرطي

يرتدي شورتا فصفاضًا وقد يعيش فيه رجل أبيض. وفيه مدافع تستخدم في الحروب. وسأل الكاتب أمه سبب دعوة أبيه (باديليما) بالمدفع، شرحت الأم ولكنه عرف الإجابة الخاصة به "إن الرأس (بادليما) أشبه كرة المدفع في الشكل. ولهذا كان يدعوه الأب بالمدفع (Soyinka, 1988, p12).

فإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على أن شُوينْكَا يحكى بيقين كما هو فى الواقع؛ لأنه يرى، بينما كان طه حسين يحاول أن يخفي إعاقته، فكان يعطي انطباعًا بأنه يري عندما يصف الشخصيات والأحداث، ونذكر على سبيل المثال وصفه الدقيق لسيدنا وكأنه يراه:

"وكان منظر سيدنا عجبا في طريقه إلي الكتّاب وإلي البيت صباحًا ومساءً، كان ضخمًا بادنًا، وكانت دفته تزيد في ضخامته، وكان كما قدمنا يبسط ذراعيه على كتفي رفيقيه."(حسين، ٢٠٠٦م، ص٣٢)، ولكنه لم يخف هذه الإعاقة كلية، فكان يحاول التقليل من أثرها فقط، فهكذا يقول فيما بعد عندما أمسك سيدنا بيد الصبي: "وأخذ بيد الصبي، فما راع الصبي إلا شيء في يده غريب، ما أحس مثله قط، عريض يترجرج، ملؤه شعر تغور فيه الأصابع، ذلك أن سيدنا قد وضع يد الصبي على لحيته(حسين، ٢٠٠٦م، ص٤٦)٠

ونلاحظ هنا استخدام حاسة اللمس. وفي الجزء الثاني تظهر الحواس الأخرى -السمع والشم- التي تؤكد فقدان البصر، فهكذا يصف عالمه: "وقد ظل أيامًا يسمع هذا الصوت إذا عاد من الأزهر مصبحًا وإذا عاد منه ممسيًا، يسمعه وينكره ويستحيي أن يسأل عنه، ثم فهم من بعض الحديث أنه قرقرة الشيشة يدخنها بعض تجار الحي ويهيئها صاحب القهوة التي كان ينبعث منها ذلك الحر الخفيف وذلك الدخان الرقيق (حسين، ٢٠٠٦م، ص٣)٠

ويمكننا أن نستنتج مما سبق أن الغموض وعدم الوضوح هما ركيزتان أساسيتان في تقنية وأسلوب طه حسين، فهما يكشفان عن منهجه الديكارتي كما يكشفان عن صفة أصيلة في شخصية الكاتب التي تصل أحيانًا إلي وصفها بالسادية أو تعذيب الغير، فهو يرغب في أن يجد القارئ نفس الصعوبة التي يواجهها ونفس الآلام التي يعاني منها شخصيًا. وفضلًا عن ذلك، فإن طه حسين أوضح منهجيته وأسلوبه في الكتابة وهما يعتمدان على رغبته في دعوة القارئ للمشاركة في نسج أحداث روايته، فهو يرفض أن يعطي القارئ كل ما في جعبته دون أن يبذل القارئ جهدًا مماثلًا لما يبذله الكاتب، وفي هذا نحيل القارئ إلي الفصل الثاني من أقصوصته "ما وراء النهر" ومنها نقتطف ما يلي:

"فالإنتاج الأدبي إذن شراكة بين الأديب وقارئه، وليس الأديب في حقيقة الأمر إلا رائدًا يمهد الطريق. فهذه القصة لا تحتمل القراءة السلبية، وإنما هي تريد، بل هي لا تقوم

إلا على المشاركة الإيجابية بين الكاتب حين يرسم الخطوط وبين القارئ حين يتم الرسم ويملأ ما بين الخطوط من فراغ لعله ترك عن إرادة وعمد" (حسين،١٩٧٦م، ص٢٨-٢٩)٠

ويسترسل طه حسين في شرح منهجه المبني على الجدلية فيقول: "فكتابنا قد عودوا القراء أن يهيئوا لهم الأدب كما يهيأ لهم الطعام، فليس على القراء إلا أن يقرأوا ويسيغوا، أما أنا فلا أحب هذا اللون من الطهي الأدبي لأني أكبر نفسي وأكره أن يكون خادمًا للقراء من جهة، ولأني أكبر القراء وأكره أن تكون آذانهم أفواها وعقولهم بطونًا يلقي إليها الكلام فيسمعون ثم يسيغون، لا أحب شيئًا من هذا، وإنما أحب أن أنشئ بيني وبين القراء نوعا من الزمالة، بحيث نبدأ القصة معًا، ونمضي فيها معًا، وننتهي منها معا، نتفق أحيانا ونختلف أحيانا أخري، ويشجر بيننا الخصام من حين إلي حين (حسين،١٩٧٦م، ص٢٩).

وفي الفصل السابع من أقصوصته يؤكد على منهجه السابق فيقول: «فالربوة كلها بما عليها ومن عليها، والقصر كله بما فيه ومن فيه، سر من أسراري، أبيح منهما للقراء ما أشاء، ليس لهم أن ينازعوا في ذلك أو ينكروا منه شيئًا ما. وقد أزمعت ألا أرقي معهم إلى القصر، ولا أبقى معهم على الربوة استجابة لأصل من أصول الفن كما أراه أنا، لا كما يراه النقاد (حسين، ١٩٧٦م، ص٦٠).

المبحث السابع: الانفصال عن المجتمع

إن الإنسان يعد نفسه حصيلة تجارب الماضي، هكذا يقول جون بول سارتر «أنا حصيلة الماضي» «Je suis mon passé»، أما طه حسين فقد حاول الانفصال عن ماضيه وذلك باستخدامه لضمير الغائب، فاستخدامه للغائب يسمح له بإنكار ذاته ويفصلها عن أحداث ماضيه، كما يكشف عن احتكاره لماضيه وتنكره له وذلك عندما يتحدث عنه بكبرياء (عبد الدائم،١٩٧٥م، ص٤١٤)، فهذا ما نلاحظه أثناء سرده لروايته ويظهر هذا في الفصل الأخير من الجزء الأول للأيام موجهًا خطابه لابنته: «ألست ترين أن أباك خير الرجال وأكرمهم؟ ألست ترين أنه قد كان كذلك خير الأطفال وأنبلهم؟»(حسين، ٢٠٠٦م، ص١٤٥)، وهذا الأسلوب لم نجده عند وُوْلِى شُوْبِنْكَا، وقد ظهر هذا الانفصال الذي يعبر عن رفضه لمجتمعه ولماضيه أو عدم التأكد من حقيقة الحادثة باستخدامه أمرين: الأول استخدامه لصيغة النفي في بداية عمله: «لا يذكر لهذا اليوم اسمًا، ولا يستطيع أن يضعه حيث وضعه الله من الشهر والسنة، بل لا يستطيع أن يذكر من هذا اليوم وقتًا بعينه، وإنما يقرب ذلك تقريبا»(حسين، ٢٠٠٦م، ص٣)٠

فعندما يستخدم طه حسين في أول تعبير له في سيرته «لا يذكر لهذا اليوم اسمًا» و»لا يستطيع أن يضعه حيث وضعه الله»، فهو يخرق أول حقيقة في السيرة الذاتية، على عكس ما فعله شُوْيِنْكَا، إلا أن هذا يبين تصميم طه حسين على أنيضع سيرته في أسلوب ديكارتي يؤكد به موضوعيته التي نراها في توجهه من «التخصيص» إلى «التعميم».

الأمر الثاني الذي عبر به عن رفضه لمجتمعه وتنكره لماضيه هو استخدامه لصيغة المبني للمجهول الذي يؤكد به عدم مسئوليته عن أحداث ماضيه كما يتضح في قوله: «ولم ينس صاحبنا قط أنه أجلس في مكانه من القطار حين بلغ روما وقد انتصف الليل، فلم يبرح مكانه ذاك إلى جانب النافذة إلا حين بلغ القطار باريس بعد ثلاثين ساعة كاملة لم يتحرك، وإنما كان أشبه بمتاع قد ألقي في ذلك الموضع(حسين، ١٩٨٠م، ص٦٨).

ونستنتج مما سبق أن هذا الانفصام الحادث بين طه حسين وبين مجتمعه والذي عبر عنه باستخدامه لثلاث وسائل (ضمير الغائب – صيغة النفي – صيغة المبني للمجهول) أفرزت ثنائية في عمل لطه حسين. فمن المفترض في السيرة الذاتية أن نكون أمام شخصية واحدة يتطابق فيها شخصيات المؤلف والراوي وصاحب السيرة، ولكن في السيرة الذاتية لطه حسين انفصل هذا التطابق واستمر هذا الانفصال طوال الرواية.

المبحث الثامن: الثقافة

تمتد جذور وُوْلِيَشُوْيِنْكَا في ثقافة اليُورُوبَا لكن خبراته تمتد إلى مجالات أوسع، فدراسته الرسمية وتجاربه العملية ربطته بأفكار العالم الحديث. لقد ولد شُوْيِنْكَا في أحضان ثقافة اليُورُوبَا وأصبح جزءا طبيعيًا منها فضلًا عن ذلك، فإنه قد اهتم اهتمامًا شديدًا بدراسة ثقافة شعبه . وقد تجلي اهتمامه الشديد فى بعض المفردات اللغوية وفروقها الدقيقة المستعملة بصورة مدهشة في سيرته الذاتية المثيرةمما يوضح فكرته، فهو يقول فى وصف بنت بائع الكتب:

«ولها ابنة واحدة تسمى (بُوكُولَا) التي لم تكن من عالمنا هذا كما بدا للكاتب. وكانت مقيدة إلى الأرض بالتعاويذ والأحجية والخلاخيل؛ التي ترتديها على ركبتها وأصابعها وخصرها لأنها (أَبِيكُو)*.»فكلمة أَبِيكُو من أصل يُورُوبَا وهى بمعنى الطفل الذي يولد ثم يموت ثم يولد ثم يموت وهكذا من عقائد أهل هذه المنطقة. وقد استعمل شُوْيِنْكَا كثيرًا من أمثال هذه الكلمات فى كتابه ليشير إلى ثقافته اليُورُوبَاوِية نحو: «إِيغُنْغُوْن*» و»عُوْرُو*»و»إِغْبَاغْبُو*»وغيرها من الكلمات اليُورُوبَاوِيَة.

وأما طه حسين فتمتدّ جذور ثقافته إلى العرب، فدعا إلى نهضة أدبية عربية، وعمل على الكتابة بأسلوب سهل واضح مع المحافظة على مفردات اللغة وقواعدها، ولقد أثارت آراؤه الكثيرين كما وجهت له عدّة اتهامات، ولم يبال طه بهذه الثورة ولا بهذه المعارضات القويّة التي تعرض لها، ولكن استمرّ في دعوته للتجديد والتحديث، فقام بتقديم العديد من الآراء التي تميزت بالجرأة الشديدة والصراحة، فقد أخذ عن المحيطين به ومن الأسلاف من المفكّرين والأدباء طرقهم التقليديّة في تدريس الأدب العربي، وضعف مستوى التدريس في المدارس الحكومية، ومدرسة القضاء وغيرها، كما دعا إلى أهمية توضيح النصوص العربية الأدبية للطلاب، هذا بالإضافة إلى أهمية إعداد المعلّمين الذين يقومون بتدريس اللغة العربية والأدب ليكونوا على قدر كبير من التمكّن والثقافة، بالإضافة إلى اتباع المنهج التجديديّ، وعدم التمسّك بالشكل التقليديّ في التدريس.

المبحث التاسع: الدين والعقيدة

اختلف الأديبان في الدين والعقيدة بالنسبة إلى كتابيهما. فطه حسين من أسرة مسلمة تؤمن بالله وحده وبرسوله محمد (ص) وبكتابه الكريم. ويتضح ذلك فيما قال طه حسين فى أبيه:»وكان صاحبنا ينام فى حجرة مجاورة لحجرة هذا الشيخ، فكان يسمعه وهو يتلو، حتى حفظ من هذه الأوراد والأدعية شيئًا كثيرًا. وكان أهل القرية يحبّون التصوّف ويقيمون الأذكار، وكان صاحبنا يحبّ منهم ذلك؛ لأنه كان يلهو بهذا الذكر، وبما ينشده المنشدون أثناءه. ولم يبلغ التاسعة من عمره حتى كان قد وعى من الأغاني والتعديد والقصص وشعر الهلاليين والزناتيين والأوراد والأدعية وأناشيد الصوفية جملة صالحة، وحفظ إلى ذلك كلِّه القرآن»(حسين، ٢٠٠٦م، ص٦٨)٠

وأما وولي شوينكا فإنه لايعد مسيحيًا ولا وثنيًا؛ لأنه نشأ في بيئة مختلطة بالنصرانية والإسلامية والوثنية وتأثر بهذه الأديان فى كتابته حيث قال: «كانت كنيسة القديس بطرس التى يؤدون فيها دعاء الصباح والمساء باللغة الإنجليزية وكانت موسيقى الأرغن تدوى في تلك الأمسيات» (Soyinka, 1988, p16)٠

الخاتمة

أوضحت هذه الدراسة المقارنة فيما اختلف طه حسين ووُوْلَىْ شُوْيِنْكَا فى كتابيهما «الأيام» و«أَكَىْ» ولاحظت أن شُوْيِنْكَا قدم نموذجًا للسيرة الذاتية في شكلها التقليدي مع ملاحظة أنه عاهد القارئ بالتصريح الواضح في كل حكاياته، وعندما أوفى بعهده فوجد

بين العناصر الثلاثة المكونة للرواية (المؤلف = الراوي = الشخصية الرئيسية)، وذكر كل التفاصيل بكل دقة، فوصفت أحداث السيرة، في بدايتها، بالمصداقية (factuel).

قدمت الدراسة نموذجًا للبس والتعميم الكامل لكل حكايات طه حسين؛ الذي فصل بين العناصر السابقة (المؤلف/ الراوي/ الشخصية الرئيسية)، كما استخدم ضمير الغايب، ولم يعط اسمًا لأي شخصية في الرواية، ولم يحدد الزمان ولا المكان، فهذا النوع من الأدب يسمي بالسيرة الذاتية المستترة أو المتعددة التفاسير(hétérodiégétique autobiographie)التي تتميز بالوهم والخيال (fictionnel).

وأما عن الهدف من كتابة السيرة، فقد ظهر فى كتابة شُوْيِنْكَا أنه يهدف إلى تعميم تجاربه في الحياة ليتعلم الآخرون منها، بينما صرح طه حسين أن هدفه هو سبب شخصي: الهروب من مشكلات وهموم ثقال صادفته في ذلك الوقت، إلا أن الهدف الحقيقي لكل من المؤلفين انكشف في سياق أحداث سيرتيهما، فالهدف التعليمي أو التعميمي الذي افترضه شُوْيِنْكَا والهدف الشخصي الذي عبر عنه طه حسين، فقد نجح باستخدامه لأساليب التعميم في وصف حالة المجتمع بشكل عام تتمثل في الشخصية الرئيسية لقصته غير محددة المعالم والتي من الممكن أن تمثل حالة أي صبي، وكان من نتيجة ذلك أن ما وصف بالخيال أو بالوهم لديه أصبح أقل خيالًا، وأكثر مصداقية من شُوْيِنْكَا.

وأما فيما يتعلق باستخداميهما لضميرين مختلفين: المتكلم والغائب، فهذا الاختلاف يجسد الفارق بين مدلول كلمة «الذاتية» باستعمال ضمير المتكلم والتي عبرت عن الغرض الأساسي لشُوْيِنْكَا، وبين مدلول كلمة «الموضوعية» باستخدام ضمير الغائب التي استطاع أن يحققها طه حسين، وعلى الرغم من اختلاف الشكل الأدبي لكل من العملين (سيرة ذاتية تقليدية لشُوْيِنْكَا وسيرة ذاتية مستترة أو متعددة التفاسير لطه حسين) إلا أنهما اتفقا في أن يجعل كل منهما لغة خاصة به يعبر بها عن نفسه وعن هدفه.

الملاحظات

* بمعنى الطفل الذي يولد ويموت ثم يولد ويموت ثم يولد وهكذا حسب عقيدة شوينكا.
* بمعنى التنكر السلالي أو أرواح الموتى كما وصفه الكاتب.
* بمعنى الشياطين الجن.
* بمعنى الإيمان.

المراجع

Abd ad-Dayim, Yahya Ibrahim. 1975. *At-Tarjatadh-Dhatiyyat Fi al-Adab al-Hadits*, Risalah ad-Dukturah. Dar an-Nahdhah al-Mishriyyah.

Abduh, Barakat 'Aliyy. 1982. *I'tirafat Udabaina Fi Siyarihimadh-Dhatiyyat*, t.1. Jeddah: Tihamah.

Guiraud, Pierre. 1979. *La Stylistique, Que sais-je?*, P.U.F, No. 646.

Hassan, Tammam. 1994. *Al-Lughah al-'Arabiyyah: Ma'naha Wa Mabnaha.* Al-Maghrib: Dar ath-Thaqafat.

Hussein, Taha. 1957. Min Hadith ash-Shi'r Wan Nathr. Al-Qahirat: Dar al-Ma'arif.

Hussein, Taha. 1976. *Ma Wara an-Nahr*, t4. Al-Qahirah: Dar al-Ma'arif.

Hussein, Taha. 1980. *Al- Ayyam*, j3. Beirut Libanon: Dar al-Kitab.

Hussein, Taha. 2006. *Al- Ayyam*, j1. Al-Qahirah: Dar al-Ma'arif.

Hussein, Taha. 2006. *Al- Ayyam*, j2. Al-Qahirah: Dar al-Ma'arif.

Isma'il, 'Izzuddin. 1990. *"Ana al-Mutakallim: Taha Hussein"*, Majallah Fushul, No. 21, Vol. 9, 1st& 2nd October.

Soyinka, Wole. 1972. *The Man Died: Prison Notes*. Ibadan: Spectrum Books.

Soyinka, Wole. 1988. *Ake: The Years of Childhood*. Ibadan: Spectrum Books Limited.

Soyinka, Wole. 1989. *Isara: A Voyage Arround Essay.* Ibadan: Fountain Publications.

Soyinka, Wole. 1993. *The Man Died: Prison Notes. Rex Collins (Ed.)*. Ibadan: Spectrum Books.

Soyinka, Wole. 2006. *You Must Set Fourth at Dawn. A Memoir*. New York: Random House.